لا مجد في الدنيا لمن قلَّ ماله

يمدحه في شهر ذي الحجة من هذه السنة:

[الطويل]

أَوَدُّ مِـــنَ الأيَّـــام مَـــا لَا تَـــوَدُّهُ،
وَأَشْـكُـو إلَـيْـهَـا بَـيْـنَـنَـا وَهْـيَ جُـنْـدُهُ(١)
يُـبَـاعِـدْنَ حِـبًّـا يَـجْـتَـمِـعْـنَ وَوَصْـلُـهُ
فَـكَـيْـفَ بِـحِـبٍّ يَـجْـتَـمِـعْـنَ وَصَـدُّهُ(٢)
أَبَـى خُـلُـقُ الـدُّنْـيَـا حَـبِـيـبـاً تُـدِيـمُـهُ
فَـمَـا طَـلَـبِـي مِـنْـهَـا حَـبِـيـبـاً تَـرُدُّهُ(٣)
وَأَسْـرَعُ مَـفْـعُـولٍ فَـعَـلْـتَ تَـغَـيُّـراً
تَـكَـلُّـفُ شَـيْءٍ فِـي طِـبَـاعِـكَ ضِـدُّهُ(٤)
رَعَـى الـلَّـهُ عِـيـسـاً فَـارَقَـتْـنَـا وَفَـوْقَـهَـا
مَـهـاً كـلُّـهَـا يُـولَـى بِـجَـفْـنَـيْـهِ خَـدُّهُ(٥)

---

(١) و (٢) البين: البعد. يبدأ الشاعر قصيدته بمطلع وجداني غزلي، إنه يَشكو الزمن المفرّق بينه وبين حبيبته، فهو دهر معاند مباعد، ومن نكده أن الأيام جنده بها يُحارب، ودائماً هو المنتصر وبنو البشر مهزومون في معركة ركنها الأساسي الدهر، إنه يُباعد بين الأحبَّة، والغربة مرّة في طلب الرزق، فضلاً عن أن المحبوبة عنيدة تصدّ وتجفو.

(٣) و (٤) إن من طبع الدنيا أن تفرّق بين الأحبَّة، إذاً فمن غير الطبيعيّ أن تعيد حبيباً إلى حبيبه، وقد سَهُل عليها التفريق فكيف تلم شملهما من جديد، وكان بالأحرى ألّا تفرّق بينهما. وبإحساس ملؤه الأسى يُعلّل الشاعر سبب عدم دوام الدنيا على حال بين الأحبَّة إنها بُنيت على التنكر للبشر، فإذا ما جمعت حبيبين سرعان ما عملت على تفريقهما، وهذا من طبعها، والطبع غلّاب دائماً فلا يُمكن أن تتنكّر لما هو من طباعها وتُعيد اللحمة بين الأحبة.

(٥) العيس: الإبل البيض. المها، الواحدة مهاة: البقرات الوحشية. تُشبّه بها النساء لجمال عيونهن. يُولى، من الولي: المطر الذي يلي أول مطر. يدعو الشاعر بالرعاية والحماية الإلهية لتلك النياق التي حملت الأحبة، وقد تبللت خدودهن بالدموع من عيونهن كعيون البقرات الوحشية الجميلة الواسعة الشديدة السواد حزناً على فراق أحبَّة، وديار عزيزة.

بِـــوَادٍ بِـــهِ مَـــا بِـــالْـــقُـــلُـــوبِ كَـــأَنَّـــهُ
وَقَـــدْ رَحَـــلُـــوا جِـــيـــدٌ تَـــنَـــاثَـــرَ عِـــقْـــدُهُ[١]

إِذَا سَـــرَتِ الأَحْـــدَاجُ فَـــوْقَ نَـــبَـــاتِـــهِ
تَـــفَـــاوَحَ مِـــسْـــكُ الْـــغَـــانِـــيَـــاتِ وَرَنْـــدُهُ[٢]

وَحَـــالٍ كَـــإِحْـــدَاهُـــنَّ رُمْـــتُ بُـــلُـــوغَـــهَـــا
وَمِـــنْ دُونِـــهَـــا غَـــوْلُ الـــطَّـــرِيـــقِ وَبُـــعْـــدُهُ[٣]

وَأَتْـــعَـــبُ خَـــلْـــقِ ٱللَّـــهِ مَـــنْ زَادَ هَـــمُّـــهُ،
وَقَـــصَّـــرَ عَـــمَّـــا تَـــشْـــتَـــهِـــي الـــنَّـــفْـــسُ وَجْـــدُهُ[٤]

فَـــلَا يَـــنْـــحَـــلِـــلْ فِـــي الـــمَـــجْـــدِ مَـــالُـــكَ كُـــلُّـــهُ
فَـــيَـــنْـــحَـــلَّ مَـــجْـــدٌ كَـــانَ بِـــالـــمَـــالِ عَـــقْـــدُهُ[٥]

وَدَبِّـــرْهُ تَـــدْبِـــيـــرَ الَّـــذِي الـــمَـــجْـــدُ كَـــفُّـــهُ
إِذَا حَـــارَبَ الأَعْـــدَاءَ وَالـــمَـــالُ زَنْـــدُهُ[٦]

---

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٢. الجيد: العنق. تناثر: تفرّق. يرسم الشاعر موطن الأحبَّة، إنه وادٍ يشعر بشعور بشريّ يتألم لرحيل الأحبة، وقد ألف وجودهم، فإذا بالألفة والحبّ بين البشر والديار ينفرط عقدها كعقد تقطّعت أوصاله وتناثرت حبّاته في متّسع من الأرض فلا يمكن إعادة لحمته من جديد.

(٢) الأحداج، الواحد حدج: مراكب النسوة فوق الإبل كالهوادج. الغانيات، الواحدة غانية: التي اغتنت بزوجها أو التي اغتنت بجمالها. الرند: نبات طيب الرائحة. يصف الشاعر الرحيل في ذلك الوادي الخصيب في يوم ربيعيّ، وقد فاحت أزهار الرند واختلطت بطيب النسوة من المسك، فكأنهما في موكب وداع.

(٣) الغَوْل: المهلكة. يُعبّر الشاعر عن استحالة اللحاق بمن أحبّ فالمفازة وعرة خطرة تُودي بمن حاول عبورها إلى الهلاك، وهو يسعى إلى اللحاق بغانية تبدي تمنّعاً وصدًّا؛ إنها حالة مستعصية، لذا إدراكها مستحيل، وبذلك يتوانى عن المحاولة.

(٤) الوُجْد، بضم الواو: السعة. يسوّغ الشاعر لنفسه القبول بالأمر الواقع والتراخي عن اللحاق بالحبيبة، فثمة هموم غيرها تُثقل كاهله، وليس بوسعه تحقيق كلّ ما يتمنّاه، فطاقته محدودة وأتعب الناس من يركض وراء سراب يريد الإمساك به.

(٥) و (٦) يُحذر الشاعر من تضييع المال في ما لا يفيد من تبذير وإسراف. فللمال دور عظيم في بلوغ المجد؛ فينفق في مكانه، لأنّ المجد في مجتمعات فسدت فيها القيم =

فَـلَا مَـجْـدَ فـي الـدُّنْـيَـا لِـمَـنْ قَـلَّ مَـالُـهُ،
وَلَا مَـالَ فـي الـدُّنْـيَـا لِـمَـنْ قَـلَّ مَـجْـدُهُ(١)
وَفـي الـنَّـاسِ مَـنْ يَـرْضَـى بِـمَـيْـسُـورِ عَـيْـشِـهِ
وَمَـرْكُـوبُـهُ رِجْـلَاهُ وَالـثَّـوْبُ جِـلْـدُهُ(٢)
وَلَـكِـنَّ قَـلْـبـاً بَـيْـنَ جَـنْـبـيَّ مَـا لَـهُ
مَـدًى يَـنْـتَـهِـي بـي فـي مُـرَادٍ أَحُـدُّهُ(٣)
يَـرَى جِـسْـمَـهُ يُـكْـسَـى شُـفُـوفـاً تَـرُبُّـهُ
فَـيَـخْـتَـارُ أَنْ يُـكْـسَـى دُرُوعـاً تَـهُـدُّهُ(٤)
يُـكَـلِّـفُـنِـي الـتَّـهْـجِـيـرَ فـي كُـلِّ مَـهْـمَـهٍ
عَـلِـيـقِـي مَـرَاعِـيـهِ وَزَادِيَ رُبْـدُهُ(٥)

= الأخلاقية لا بدّ له من وسيلة تُساعد على بلوغ الغاية المرجوّة منه، والمال أسهل طريقة، وله سحر عجيب. وتوظيفه في قيادة الجيوش التي تُعين على بلوغ المجد أنجع الوسائل وأنجحها، لذا فالمال باب المجد ومفتاحه العجيب.

(١) خلاصة الأمر فثمّة ترابط بين المال والمجد، فكل منهما يتمّم الآخر، وفي حال اختفاء أحدهما ينعدم الآخر تلقائياً.

(٢) ثمّة من مات فيه الطموح وتبلّدت همته وقبل بالدون من العيش، يستوي بذلك مع من أهملته الحياة، فيرضى بما يكفي أوده وبما يستره من اللباس، فلا يسعى ليغتني ليقوى بغناه ويحقّق أحلامه.

(٣) إن معاناة الشاعر تكمن في قلبه الذي لا يقبل بالقليل، فالمدى بعيد يطول أبعاداً تطال النجوم، فلا مجال لقناعته بما دون ذلك، ولا بدّ من مجاراته واللحاق به.

(٤) الشفوف: الرقيق من الثياب. تربّه: تنعّمه. إنها ضريبة المجد، فقلب الشاعر لا يرضى له بالرفاهية المصطنعة بل بالخشونة في الملبس والمسلك، فرغم الدروع الثقيلة التي تتعب كاهله فإنه يدعوه إلى المغامرة وركوب المخاطر ليدرك ما يتمناه في هذه الحياة من عظمة وخلود.

(٥) التهجير: السير في الهاجرة عند الظهيرة واشتداد الحرّ. المهمه: المفازة. الربد: النعام. يتوجّب على الشاعر أن يدفع في سبيل تحقيق أمانيه ثمناً باهظاً من نفسه وراحة جسده وأن يتعرّض للأخطار من قساوة حرّ الهاجرة والسير في المواطن الخطرة المرعبة، فينفذ زاده ويستعيض عنه باصطياد النعام ليقتات ممَّا يدلّ على =

وَأَمْضَى سِلَاحٍ قَلَّدَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
رَجَاءُ أَبِي الْمِسْكِ الْكَرِيمِ وَقَصْدُهُ(١)
هُمَا نَاصِرًا مَنْ خَانَهُ كُلُّ نَاصِرٍ
وَأُسْرَةُ مَنْ لَمْ يُكْثِرِ النَّسْلَ جَدُّهُ(٢)
أَنَا الْيَوْمَ مِنْ غِلْمَانِهِ فِي عَشِيرَةٍ
لَنَا وَالِدٌ مِنْهُ يُفَدِّيهِ وُلْدُهُ(٣)
فَمِنْ مَالِهِ مَالُ الْكَبِيرِ وَنَفْسُهُ،
وَمِنْ مَالِهِ دَرُّ الصَّغِيرِ وَمَهْدُهُ(٤)
نَجُرُّ الْقَنَا الْخَطِّيَّ حَوْلَ قِبَابِهِ،
وَتَرْدِي بِنَا قُبُّ الرِّبَاطِ وَجُرْدُهُ(٥)

= مهارته في الصيد وملاحقة أسرع الطيور عدواً، وهو يترك فرسه يرعى العشب لنفاد علفه.

(١) و (٢) ينتقل الشاعر من وصف رحلة العذاب إلى المقصود برحلته إنه أبو المسك كافور، فلقد واجه الأخطار بعزيمة لا تلين وتجشّم مخاطر الطريق ليحطَّ رحاله ورجاءه في رحاب الملك والأمل يحدوه بتحقيق ما يتمنّى، وبهما يكون الناصر حيثما يعزّ وجود المعين في الملمات والأزمات، وهما أيضاً عشيرة من لا أهل له.

(٣) يُقرّ الشاعر بفضل كافور، فقد وهبه من الغلمان ما جعله يُحسّ أنه بين أهله وعشيرته بما لاقاه منهم من الأنس والتعاطف والودّ وحسن الاستقبال والقيام بواجبه أحسن قيام، والكلّ يكنفهم كافور برعايته وحمايته كالوالد الرحيم بعياله، وجميعهم يفدونه بأنفسهم، ومنهم بطبيعة الحال الشاعر.

(٤) يمدح الشاعر كافوراً بكرم فيَّاض غمر به كبير القوم وصغيرهم؛ فمال الكبير ونفسه التي بين جوانبه من الملك لحسن رعايته لأهل مملكته، ومن حسن رعايته لصغارهم أنه أمّن لهم اللبان التي فيها نماؤهم حتى مهادهم يحصلون عليها من ماله؛ وتلك سياسة حكيمة تشدّ عامة الناس للقائم على أمورهم.

(٥) القنا: الرماح، القباب: الخيام. القبّ: الضامر من الخيول. الرباط: اسم لجماعة الخيل. الجرد من الخيل: قصار الشعر. ينوّه الشاعر بمشاركته في راحة كافور، فالقوم يرحلون معه حيثما رحل ويحلّون حيثما حلّ ويقومون بحراسته، وهم يمتطون الجياد السريعة يصحبونه في مسيره.

وَنَـمْـتَـحِـنُ الـنُّـشَّـابَ فـي كُـلِّ وَابِـلٍ
دَوِيُّ الْـقِـسِـيِّ الْـفَـارِسِـيَّـةِ رَعْـدُهُ[١]
فَـإِلَّا تَـكُـنْ مِـصْـرُ الـشَّـرَى أَوْ عَـرِيـنَـهُ
فَـإِنَّ الَّـذِي فِـيـهَـا مِـنَ الـنَّـاسِ أُسْـدُهُ[٢]
سَـبَـائِـكُ كَـافُـورٍ وَعِـقْـيَـانُـهُ الَّـذِي
بِـصُـمِّ الْـقَـنَـا لا بِـالأَصَـابِـعِ نَـقْـدُهُ[٣]
بَـلَاهَـا حَـوَالَـيْـهِ الْـعَـدُوُّ وَغَـيْـرُهُ
وَجَـرَّبَـهَـا هَـزْلُ الـطِّـرَادِ وَجِـدُّهُ[٤]
أَبُـو الـمِـسْـكِ لا يَـفْـنَـى بِـذَنْـبِـكَ عَـفْـوُهُ
وَلَـكِـنَّـهُ يَـفْـنَـى بِـعُـذْرِكَ حِـقْـدُهُ[٥]

---

(١) نمتحن: نختبر. النشاب: السهام التركية. الوابل: المطر الشديد. دويّ: صوت. يصف الشاعر نمط عيش حاشية الملك ومن بينهم الشاعر: إنهم دائمو التدريب على السلاح، فهم يستعملون النشّاب بين يديه، فتبدو لكثرتها كالمطر المنهمر بغزارة ترافقها قعقعة الأسلحة، والجميع في سباق لتنمية قدراتهم القتالية ومعرفة أفضلهم باستعمال السلاح في الحروب.

(٢) و (٣) الشرى: مأسدة في جبل سلمى من بلاط طيّئ. العرين: الأجمة التي يتخذها الأسد بيتاً له. يمدح الشاعر أبطال المصريين بأنهم أسود يقومون بحماية بلادهم وملكهم، وإن لم يكونوا قد نشأوا في جبل سلمى من بلاد طيّئ، ولكنهم وحدة متماسكة صِيغت سبائك من ذهب خالص، نادر بطبيعته وجودته، ولم يكن اختياره لهم عبثاً، وإنما امتحن رجاله منهم بميادين القتال، فلما تبيّن له ما هم عليه من شدّة وقوّة اختارهم لنفسه.

(٤) بلاها، اختبرها: لقد كانت التجارب قاسية، خرج منها هؤلاء وقد كبّدوا أعداءهم خسائر فادحة فهابوهم، ولقد كان هؤلاء في اللهو مجلّين حين كانوا يمتطون الجياد فيطاردون بعضهم بعضاً، فيدخلون السرور على قلوب النظارة، فينالون إعجابهم وتصفيقهم.

(٥) يمدح الشاعر كافوراً بأنه يعفو عفوَ القادر، وسرعان ما يزول حقده في حال الاعتذار من قبل المسيء؛ وذلك من حسن سياسة الحكم لرعيّته.

فَـيَـا أَيُّـهَـا الـمَـنْـصُـورُ بِـالْـجَـدِّ سَـعْـيُـهُ
وَيَـا أَيُّـهَـا الـمَـنْـصُـورُ بـالـسَّـعـي جَـدُّهُ[١]
تَـوَلَّـى الـصِّـبَـا عَـنِّـي فَـأَخْـلَـفْـتَ طِـيـبَـهُ،
وَمَـا ضَـرَّنـي لـمَّـا رَأَيْـتُـكَ فَـقْـدُهُ[٢]
لَـقَـدْ شَـبَّ فِـي هٰـذَا الـزَّمَـانِ كُـهُـولُـهُ
لَـدَيْـكَ وَشَـابَـتْ عِـنْـدَ غَـيْـرِكَ مُـرْدُهُ[٣]
أَلَا لَـيْـتَ يَـوْمَ الـسَّـيْـرِ يُـخْـبِـرُ حَـرُّهُ
فَـتَـسْـأَلَـهُ وَاللَّـيْـلَ يُـخْـبِـرُ بَـرْدُهُ[٤]
وَلَـيْـتَـكَ تَـرْعَـانِـي وَحَـيْـرَانُ مُـعْـرِضٌ
فَـتَـعْـلَـمَ أَنِّـي مِـنْ حُـسَـامِـكَ حَـدُّهُ[٥]
وَأَنِّـي إِذَا بَـاشَـرْتُ أَمْـراً أُرِيـدُهُ
تَـدَانَـتْ أَقَـاصِـيـهِ وَهَـانَ أَشَـدُّهُ[٦]

(١) يُخاطب الشاعر كافوراً بأن الحظّ يُؤاتيه ويكون عوناً له في الملمات العظام، وهو يعاضده الحظ بسعيه الدؤوب، فيتوافق الحظ مع السعي، فيكون الفلاح وحسن التوفيق.

(٢) و (٣) إن عمر الشاعر طار كالهباءة ممَّا ترك في نفسه حسرة، ولكن سرعان ما انقلبت إلى إحساس بالفرح لدى رؤية الشاعر كافوراً، فإذا بالصبا يعود بثوب جديد يرتديه مزهوًّا مفتخراً به. حتى إن الشباب قد حلّ في نفوس الكهول في كنفك وفي ظلّ عدلك وحكمتك وكرمك، وبالمقابل سرعان ما انقلب المرد من الشباب كهولاً لظلم القائمين عليهم من الحكّام والأمراء، وبؤس العيش وشقائه في ظلالهم.

(٤) يُعبّر الشاعر عن تمنيه لو أن كافوراً سأل عمَّا قاساه الشاعر من سوء الأحوال الجوية أثناء رحلته إليه؛ فالهاجرة تذيب رؤوس البشر نهاراً وتجمّدها ليلاً لشدّة البرد في صحراء واسعة تتحرّك الرياح فيها بحريّة لا يحول دونها حائل.

(٥) ترعاني: تراقبني. حيران: اسم ماء في بلاد الشام على طريق سلمية. يتمنَّى الشاعر على كافور لو أنه نظر إليه وهو عند حيران ليتيقّن بأنه كان جادًّا في المسير إليه يحدوه صبر وتصميم ليمثل بين يديه

(٦) باشر: شارع. تدانت: تقاربت. أقاصيه: أبعاده. يقصد الشاعر تشجيع كافور على =

وَمَـا زَالَ أَهْـلُ الـدَّهْـرِ يَـشْـتَـبِـهُـونَ لِـي
إِلَـيْـكَ فَـلَـمَّـا لُـحْـتَ لِـي لاحَ فَـرْدُهُ[١]
يُـقَـالُ إِذَا أَبْـصَـرْتُ جَـيْـشـاً وَرَبَّـهُ
أَمَـامَـكَ رَبٌّ رَبُّ ذَا ٱلْـجَـيْـشِ عَـبْـدُهُ[٢]
وَأَلْـقَـى الْـفَـمَ الـضَّـحَّـاكَ أَعْـلَـمُ أَنَّـهُ
قَـرِيـبٌ بِـذِي الْـكَـفِّ الـمُـفَـدَّاةِ عَـهْـدُهُ[٣]
فَـزَارَكَ مِـنِّـي مَـنْ إِلَـيْـكَ اشْـتِـيَـاقُـهُ
وفـي الـنَّـاسِ إِلَّا فِـيـكَ وَحْـدَكَ زُهْـدُهُ[٤]
يُـخَـلِّـفُ مَـنْ لَـمْ يَـأْتِ دَارَكَ غَـايَـةً،
وَيَـأْتِـي فَـيَـدْرِي أَنَّ ذٰلِـكَ جُـهْـدُهُ[٥]

= اتّخاذه عاملاً له؛ إذا صمّم على أمر فإنه لا يحول دون تحقيقه عائق لبعد همته ومضائه في ما ندب نفسه له، لذا تتدانى الأبعاد وتتقلّص المسافات ويحصل مبتغاه.

(١) و (٢) وردت الأبيات الثلاثة التالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٦ـ ١١٧. لقد أجال الشاعر نظره في الناس، فإذا بهم لا يختلفون عن بعضهم بشيء، وهو يبحث عن شيء مميّز حتى بدا من بعيد إنسان وحيد مميّز بصفات نادراً ما تتوفّر في شخص من البشر. وللوهلة الأولى إذا ما بدا له ملك يتقدّم جيشه يسأل عمّا رأى، فيُشار إليه أن من ترى هو ملك قويّ قادر يحكم بالعدل والحبّ حتى كأنه عبد لرعيّته لتواضعه وحبّه لهم.

(٣) يذكر الشاعر الأثر السحري الذي يُحدثه عطاء كافور في القلوب، وهو في حال رؤيته أحداً ما يضحك يتبادر إلى ذهنه أنه قد نال عطاء من الملك أو قبّل يده، وهو قريب العهد بذلك.

(٤) و (٥) يعبر الشاعر عن شدّة شوقه لزيارة كافور والمثول بين يديه، وهو في نفس الوقت زاهد بكلّ الناس لأنه لا يرى فيهم خيراً ولا يرتجي منهم نفعاً، لذا فقد ترك خلفه دياراً وقصد كافوراً، وكلّ من لا يتوجّه شطر تلك الدار، فقد باء بالفشل وفاته خير كثير، ولكن إذا قصدها فقد حالفه التوفيق وحصل على مراده وبُغيته.

فَـإِنْ نِـلْـتُ مَـا أَمَّـلْـتُ مِـنْـكَ فَـرُبَّـمَـا
شَـرِبْـتُ بِـمَـاءٍ يُـعْـجِـزُ الـطَّـيْـرَ وِرْدُهُ(١)
وَوَعْـدُكَ فِـعْـلٌ قَـبْـلَ وَعْـدٍ لأَنَّـهُ
نَـظِـيـرُ فَـعَـالِ الـصَّـادِقِ الْـقَـوْلِ وَعْـدُهُ(٢)
فَكُنْ فِي ٱصْطِنَاعِي مُحْسِناً كَمُجَرِّبٍ
يَـبِـنْ لَـكَ تَـقْـرِيـبُ ٱلْـجَـوَادِ وَشَـدُّهُ(٣)
إِذَا كُـنْـتَ فِـي شَـكٍّ مِـنَ الـسَّـيْـفِ فَـابْـلُـهُ
فَـإِمَّـا تُـنَـفِّـيـهِ وَإِمَّـا تُـعِـدُّهُ(٤)
وَمَـا الـصَّـارِمُ الـهِـنْـدِيُّ إِلَّا كَـغَـيْـرِهِ
إِذَا لَـمْ يُـفَـارِقْـهُ الـنِّـجَـادُ وَغِـمْـدُهُ(٥)

---

(١) و (٢) الورد: المجيء إلى الماء. يلمّح الشاعر إلى مبتغاه من كافور أنه في حال حصوله على ما كان يرجو حصوله، فقد ارتوى وانتعش بما يعجز عنه ولا يستطيع الطائر وروده لصعوبة مناله، وهو إنما يلمّح ويُذكر كافوراً بوعده، بتوليته ولاية. ووعده نافذ لا محالة لصدقه، وسرعة تنفيذه، فإذا وعد كأنه قد حصل ما وعد؛ وفي ذلك حضّ وحثّ للإسراع في ذلك.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٧. اصطنع: اختار. التقريب والشدّ: من أنواع العدو عند الخيول، يُصرّح الشاعر بنيّته طالباً من كافور أن يُجرّبه في العمل، فإن ظهر له أنه جدير بما أوكل إليه من أمر فليبقِه حيث ولي وإلّا فليعزله، فبالتجربة برهان طبيعة الأشياء تماماً كما يعرف الفرس الشديد العدو من المتراخي في جريه.

(٤) فابله: فاختبره. يُردف الشاعر مؤكداً ما ذكره سابقاً بمثال آخر، فمن الضروري اختبار السيف، فإن كان قاطعاً فليعمله، وإن كان كهاماً فليلقِهِ بإهمال بعيداً عنه.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٧. الصارم: السيف القاطع. الهندي: المصنوع في الهند. النجاد: حمالة السيف. ويُردف الشاعر مثالاً آخر لتأكيد مدعاه من أن السيف الهندي القاطع لا تعرف صلاحيته من غيره من السيوف إلّا إذا جُرّد وفارق غمده واستعمل، ساعتئذ إمّا يُستمسك به وإما يُركن جانباً.

وَإِنَّكَ لَلْمَشْكُورُ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْبَشَاشَةَ رِفْدُهُ(١)

فَكُلُّ نَوَالٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ
فَلَحْظَةُ طَرْفٍ مِنْكَ عِنْدِيَ نِدُّهُ(٢)

وَإِنِّي لَفِي بَحْرٍ مِنَ ٱلْخَيْرِ أَصْلُهُ
عَطَايَاكَ أَرْجُو مَدَّهَا وَهْيَ مَدُّهُ(٣)

وَمَا رَغْبَتِي فِي عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُهُ
وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ(٤)

يَجُودُ بِهِ مَنْ يَفْضَحُ ٱلْجُودَ جُودُهُ
وَيَحْمَدُهُ مَنْ يَفْضَحُ الْحَمْدَ حَمْدُهُ(٥)

فَإِنَّكَ مَا مَرَّ النُّحُوسُ بِكَوْكَبٍ،
وَقَابَلْتَهُ إِلَّا وَوَجْهُكَ سَعْدُهُ(٦)

---

(١) و (٢) الرفد: العطاء. يُخاطب الشاعر ممدوحه معبراً عن شكره كيفما دارت الأحوال، فيكفيه منه حسن الاستقبال والابتسامة تعبيراً عن الرضى والودّ، لذا فإنه تكفيه نظرة عطف هي بمثابة عطاء حصل عليه أو سيحصل عليه في ما بعد.

(٣) المدّ: زيادة الماء. يُقرّ الشاعر أنه في بحر كرم ممدوحه، فالصلات تتوالى عليه، وهو يطلب الكثير منها، ممَّا يُغنيه أكثر برفده الدائم.

(٤) و (٥) العسجد: الذهب. يعود الشاعر إلى الحديث عن رغبته المرجوّة من كافور، فرغبته تتخطّى الذهب والاستزادة منه، ولكنه يسعى إلى مجد وفخر جديدين، يتمثلان بولاية، والقرار بيد كريم جواد يتخطّى جود غيره ممن يدّعون الكرم لأن الأمر يتجاوز عطاء المال إلى توزيع الولايات، وهو أعلى مجالات العطاء ممّا يستوجب الحمد والشكر من جهة الشاعر بشعر فوق كل مدح.

(٦) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٧. ينوّه الشاعر بحسن الطالع المستوحى من طلعة كافور، فيها يزول النحس ويحلّ محلها السعد ويزول نكد الطالع عن كلّ منحوس.